مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 08/ العدد: 01 جانفي (2022) - ص 151- 161

المدارس الحرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدرسة الفتح بغليزان أنموذجا (1943-1957م)

Free schools for the Algerian Muslims association.. El Fateh school in Ghelizan (1943-1957)

مجنح أحمد[1]
medjenneh.ahmed@edu.univ-oran1.dz
ملاح الهواري[2]
mellah_houari@hotmail.fr
كلية العلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية
جامعة أحمد بن بلة وهران1 / الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/11/15 تاريخ القبول: 2021/12/27 تاريخ النشر: 2022/01/23

ملخص البحث

المتتبع لتاريخ الجزائر تظهر أمامه مكانة العلم في نفوس أهلها و المتمعن في مسيرة التعليم العربي الحر يرى مدى إصرار الجزائريين عليه رغم كل المخططات الاستعمارية للقضاء على التعليم خاصة في تلك الفترة الاستعمارية. وأمام هذه المحاولات الاستعمارية للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية ظهر من يدافع على هذه المقومات خاصة في جانب التعليم العربي الحر من خلال المدارس القرآنية و الزوايا و مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحتى بعض الجهود الشخصية. وعليه كانت مدرسة الفتح التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بغليزان موضوع الدراسة نموذجا للمدارس الحرة التي مثلت التعليم العربي الحر.

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء المسلمين، المدارس الحرة، مدينة غليزان، تاريخ الجزائر الثقافي.

ABSTRACT:

Arabic Linguistic heritage see the position of knowledge in the hearts of its people,and looking at the procession of free Arab education you can see the extent of Algerian's insistence on it despite all the colonial plans to eliminate education especially in that colonial period. And in the face of these colonial attempts to eliminate the elements of the national character,those who defends in the side of free Arab education appeared through The Qur'anic schools zawya , school of Muslim schoolars association even some personal efforts And accordingly, EL_FATEH school that belongs to the association of Muslim schoolars in Ghelizan which is the subject of study the study.

key words:
Association of Muslim Scholars, Free Schools, Relizane city, Algeria's cultural history.

[1]المؤلف المرسل : مجنح أحمد

1. مقدمة:

عانت منطقة غليزان كغيرها من جهات الوطن من سياسة التعسف الاستعماري التي استهدفت الإنسان و الأرض وتعدت إلى مقومات الهوية الوطنية، حيث بالغت السلطات الاستعمارية في سياسة تجهيل الشعب ومحاربة اللغة وكل الشعائر الدينية.

أمام هذه السياسة التعسفية شهدت الساحة الجزائرية مطلع الثلاثينات من القرن العشرين ظهور حركة إصلاحية، دينية، تعليمية تمثلت في نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من بناء وتشييد المدارس الحرة التعليمية خاصة في منطقة غليزان، وفي هذا الإطار خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت إيديولوجيات عالمية جديدة أدت إلى انتشار التوعية والقومية العربية، جعلت من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تكثيف نشاطها التعليمي و الإصلاحي في المدن و القرى، وكذلك الدور البارز لمشايخ وعلماء المنطقة و الزيارة التي قام بها الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى المدينة وألقى درسا في مسجدها الذي اجتمع فيه خلق كثير، وعليه تتمحور إشكالية هذا المقال حول، ما وضعية التعليم العربي بمنطقة غليزان؟ متى تأسست مدرسة التربية والتعليم (الفتح) بمنطقة غليزان؟ ومن هم مديرو ومعلمو المدرسة وأين يكمن نشاطها؟ وفي هذا المقال سوف نسلط الضوء حول المدرسة الحرة للتربية والتعليم الفتح بمنطقة غليزان.

2. التعليم العربي الحر بمنطقة غليزان

1.2 زوايا و جوامع التعليم العربي الحر بمنطقة غليزان:

ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني عليه رحمت الله عن وضعية التعليم العربي الحر فقال:" فيمكننا أن نقول بأنه لولا التعليم العربي الحر لانعدمت العربية وانعدم تعليم الإسلام بهذه الديار".[1] لذا كانت السلطات الفرنسية تدرك جيدا هذه الحقيقة، وهذا ما يفسر صدها لكل نشاط يهدف إلى التعليم العربي الحر.

لكن المشايخ و المعلمين الأحرار رغم كل تلك العراقيل والقوانين التعسفية التي وضعتها سلطات الاحتلال الفرنسي في وجه كل مبادرة لفتح المدارس الحرة، بحيث تحدوا كل العراقيل و العقبات وتمكنوا من تدريس اللغة العربية و العلوم الدينية[2]، كما أنه تشير التقارير الأمنية لسلطة الاحتلال الفرنسي أنه بتاريخ 1937/07/17 كان بمدينة غليزان 16 مدرسة قرآنية(الكتاتيب والمدارس القرآنية)، وقـــد قامت الزوايا والجوامع المتواجدة بمنطقة غليزان بتعليم الكتابة والقراءة باللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وقد كان هذه المحاولات كلها في مواجهة السياسة التعليمة التي راهنت عليها سلطة الاحتلال لتجهيل الشعب وتجسيد أهدافها الاستعمارية عن طريق تعليم اللغة الفرنسية ونشرها بالمدرسة الفرنسية.[3]

ظهرت هذه الزوايا و الجوامع بمنطقة غليزان منذ القرن التاسع عشر ميلادي وزاد عددها مع مطلع القرن العشرين ميلادي وخاصة في الثلاثينات و الأربعينات، فقد كانت طرق التعليم بها تقليدية بحيث لا تكاد تخلوا الأحياء الشعبية من هذه الجوامع وهيا نوعان:

أ- النوع الأول: وهي الزوايا و الجوامع التي كانت تستقبل الطُلبة المسافرين، وكان بعضها يحتوي على قاعة واحدة للتعليم تحول ليلا إلى مرقد، والبعض الآخر يحتوي على قاعة للتعليم و مرقد يكون بجانب قاعة التعليم، ويعتمد الطُلبة(التلاميذ) في عيشهم على المساعدات من المحسنين والسكان بواسطة الميجُود[4] أو الرَتْبة[5]، وكذلك الكتاتيب التي هي عبارة عن حجرة أو حجرتين تبرع أو أوقفها أحد المحسنين، وتنتشر الكتاتيب في المدن كما في الأرياف ويكون أثاثها حصير يجلس عليه التلاميذ وألواح خشبية وأقلام من القصب[6] وتهتم هذه الكتاتيب بالطلبة المسافرين ويقف عليها شيوخ حفاظ للقرآن الكريم و لهم رصيد فقهي، تقدم تعليما يتمثل في حفظ القرآن و تفسيره ومختلف العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم اللغوية من نحو وغيره.[7]

ومنه فإن هذه الزوايا و الجوامع تعتمد في تمويلها اعتمادا كليا على التبرعات من أهل البر و الإحسان و السكان المجاورين و القريبين منها، حيث يعمل التلاميذ على جمع هذه التبرعات وهذا إن دل إنما يدل على حرص الشعب على التعليم الحر واستمراره وازدهاره.[8]

ب – النوع الثاني: وهو الزوايا والجوامع المتخصصة التي تولت تعليم القرآن الكريم أو الفقه دون التكفل بإقامة الطلبة المسافرين، وقد انتشرت في تلك الفترة العديد من الزوايا التعليمية التي اشتهرت في منطقة غليزان و التي تمثلت في:

- زاوية سيدي بن عبد الله المعروفة أيضا بزاوية شنتوف، والتي أسست سنة 1888م وتوجد بشارع طنجة، وقد تولى التدريس بها الشيخ بن عودة اسماعيل من 1934الى سنة 1953م وخلفه الشيخ محجوبة عواد.[9]
- جامع سي عبد القادر بلعالية "سنوسي"، أسس الجامع سنة 1886م وتولى التدريس فيه الشيخ الحافظ بوقمدي ثم خلفه الشيخ سي عبد القادر بلعالية لتعليم القرآن الكريم و اللغة العربية، مقره شارع طنجة بغليزان، حيث كتب عنه الشيخ الجيلالي بن عبد الحاكم فقال:'وفي غليزان مدارس قرآنية لتعليم الأطفال و الكبار كمدرسة ولي الله السيد عبد القادر بن عالية'[10].
- زاوية سيدي عبد القادر بن عدة (1918/1830)، مقرها بشارع التين وكان يدرس فيها القرآن الكريم و العلوم الدينية، وقد تخرج على يديه الكثير من المشايخ، كما درس بها ابنه الشيخ مولاي محمد(1975/1889)، وقد زار الشيخ عبد الحميد بن باديس هذه الزاوية وأشاد بسعة صدر الشيخ مولاي وجهوده في بث العلم.

- جامع الشيخ واضح خليل(1866/1939)، أسسها الشيخ بحي القرابا بغليزان ويعد الشيخ خليل من المشايخ الذين ضحوا كثيرا من أجل مواصلة تعليم القرآن الكريم و اللغة العربية، وكان الجامع يستقبل أكثر من 700 طالب مسافر(مقيم بالجامع).
- جامع الشيخ لزرق بلخير، وتوجد بشارع أمحمد بن عودة وقد أفنى الشيخ الأزرق بلخير كل حياته في تعليم القرآن الكريم إلى جانب التوثيق و الإفتاء.
  - جامع الحاج محمد بن حريقة العماري، ويوجد مقره بشارع بومدين بغليزان.
- الزاوية العلاوية المتواجدة بغليزان منذ سنة 1922، والتي مقرها بحي الزرز(الفيلات) وبعد فتح مقر الزاوية بنهج معسكر(فاتح عبد القادر حاليا)، وهي قائمة على تعليم القرآن الكريم و اللغة العربية إلى يومنا.
  - جامع الشيخ أمحمد مفلاح(سي أمحمد بن عبد الله)، ويوجد بشارع الجزائر.
- جامع منور عمراني(الحاج منور)، الذي فتح سنة 1946، وكان يدرس فيه الشيخ الجيلالي بن عبد الحاكم وابنه الشيخ عتبة.
  - جامع الشيخ بوناب أحمد(سي أحمد بلقاسم)، ويوجد بشارع عنابة.
  - جامع نذار برزيق(بلغول)، ومقره بشارع بومدين، وقد درس فيه العديد من المشايخ.
  - جامع الأغا محمد قايد أحمد، ويوجد بنهج الإخوة بصغير.
  - جامع الشيخ بن خديجة(جعفر)، ويوجد بشارع فلسطين.
- جامع الشيخ أمحمد بلفوضيل(أمحمد بلمجاهد)، المتواجد بشارع فاس، ويعتبر الشيخ بلفوضيل من الذين درسوا على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس من سنة 1938 إلى غاية سنة 1940، وقد عرف الشيخ بإخلاصه وتضحياته من أجل تعليم القرآن الكريم إلى غاية 1980.
- جامع بن يامنة(فضيل)، وكان القائم عليه الشيخ الحاج محمد بن خديجة، ويوجد مكانه بشارع فلسطين.
- زاوية سيدي عدة غلام الله، وكانت بالطريق المسدود الخشبة سابقا من جهة نهج معسكر وقد درس به الشيخ أحمد عتبة نجل الجيلالي بن عبد الحاكم.
- زاوية الشيخ المكايك الرحمانية، و التي مقرها بشارع الجزائر، حيث درس بها الشيخ سيدي الحاج بالمكي(ت1936) وخلفه ابنه الشيخ عبد العزيز مكي .
  - جامع الشيخ يحي عومر(سي الحاج عومر)، ويوجد بشارع سيرات.
- مدرسة الإصلاح الميزابية، وقد كانت هذه المدرسة من الشيخ عبد الرحمن أحمد بن بكير(رئيس الجماعة المزابية بغليزان)، وكانت سنة 1929، أول مدرس بها هو الشيخ بابا عمي أحمد وزار المدرسة

العديد من الأساتذة و المشايخ منهم أبو يقضان، بكلي عبد الرحمن، إبراهيم بيوض كما تشرفت المدرسة باستقبال الشيخ عبد الحميد بن باديس حين زار مدينة غليزان سنة 1932.

بالرغم من الجهود الكبيرة التي كانت تبذلها الجوامع و الزوايا لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية، إلا أنه كانت المدرسة الفرنسية تسعى إلى طمس اللغة العربية وتكوين نخبة مفرنسة تكون موالية لسياسة الاحتلال الفرنسي، وقد شعر أحمد توفيق المـــدني بأهمية توحيد الجهـــود في هذا المجال فكتب مايلـي:"و الواجب على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تحرر منهاجا دراسيا للمدارس القرآنية وتوزعه على جميع ماهو موجود منها وما سيوجد، حتى تتوحد جهود العاملين وتتلقى الناشئة في مختلف البلاد علومها القرآنية على سياق واحد".[11]وقد كتب أحد معلمي التعليم العربي الحر مقالا في جريد البصائر يشكوا الظلم والاضطهاد جاء فيه:" في هذا الوقت وقت التقدم والنهوض، وفي هذا العصر عصر النور والمدنية والحضارة ...يساق المعلم الحر ويحاكم مع أصحاب الإجرام "[12]، ونجد أن هذه الاهانة للمعلمين قد بدأت حتى قبل قرار شوطان، حيث يعود إلى مرسوم ميشال 1933 ، فقد كتب ابن باديس آنذاك في جريدة الصراط السوي مقالا تحت عنوان "بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندك رخصة[13]."

وعليه التزمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خيار التعليم العربي الحر، وقد أولته أهمية وعناية خاصة بغرض بث الوعي في المجتمع الذي كادت ثقافته العربية الإسلامية أن تندثر بسبب سياسة الإدماج المنتهجة من طرف الإدارة الاستعمارية التي عملت على فتح المدارس الفرنسية في قرى ومدن الجزائر، والتي تخرج منها نخبة أصبح بعضها يدعوا صراحة إلى سياسة الفرنسة و الإدماج، وظهرت في مدينة غليزان مدارس عمومية تشرف عليها سلطات الاحتلال الفرنسي وهي كالتالي:

- مدرسة ساحة المسجد.
- مدرسة التعليم الفلاحي.
- مدرسة التكوين التقني.
- مدرسة الحضانة بنهج فكتور هيجو(نهج محمد خميستي حاليا).
- مدرسة ادموند نجلان.
- مدرسة نهج فورتان.
- مدرسة البنات بشارع صوف.
- متوسطة للتعليم العام بنهج فكتور هيجو.
- مدرسة سانت مونيك.
- مدرسة سان جوزيف.

ولأهمية التعليم العربي الحر و التربية الدينية في تحقيق الشخصية الوطنية و القومية وحسب الفصل السادس من القانون الأساسي الذي منح صلاحيات لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من فتح النوادي ومدارس حرة للتعليم الابتدائي، وعليه أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المدارس الحرة في مدن وقرى الجزائر ومنها العديد من هذه المدارس مثل: مدرسة التربية و التعليم بقسنطينة، مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر ومدرسة تهذيب البنين بتبسة، ومدرسة الفتح الإصلاحية بغليزان التي هي قيد الدراسة.

2.2 تأسيس مدرسة التربية والتعليم "الفتح" بمنطقة غليزان:

في سنة 1943 فتحت مدرسة التربية و التعليم الإصلاحية 'الفتح' بوسط مدينة غليزان والتي كانت تحتل موقعا هاما ولها زاويتين على شارعين كبيرين بالمدينة وهما شارع السوق(العربي تبسي حاليا) وشارع ديسلي(شارع الأمير عبد القادر حاليا)، وتم فتح المدرسة بفضل جـــهود وتبرعات أعضـاء شعبة غليزان والجمعية المحلية[14]، حيث أشرف على فتح المدرسة في حفل بهيج الشيخ نعيم النعيمي[15]الذي عينه الشيخ رئيس الجمعية محمد البشير الإبراهيمي مسئولا على جمعية العلماء المسلمين بمنطقة الشلف رفقة محمد الصالح رمضان لفتح المدرسة الحرة 'الفتح'، حيث تولى الشيخ نعيم النعيمي مهمة الوعظ و الإرشاد لمدة سنة واحدة بغليزان[16]، وبعدها ظل يزور المدينة باستمرار في إطار المهام التي كلفته بها جمعية العلماء بمدينة الشلف.

حيث أن مقر هذه المدرسة الحرة 'الفتح' هو ملك للسيد قلو قاسم المزابي المولود بمدينة ببريان والذي استقر بمدينة غليزان وعمل بها التجارة وفي سنة 1923 توفي السيد قلو قاسم وتكفل أخوه السيد قلو موسى الذي كان له الفضل الكبير على المدرسة وتشييدها و الإنفاق عليها من خلال حانوته الذي كان يستعمله لبيع العقاقير، ويعد السيد قلو موسى من أعضاء جمعية العلماء بمنطقة غليزان، كما أن السيد قلو موسى فتح غرفة من بيته لمعلمي المدرسة للإقامة بها وهي بشارع العربي التبسي مقابل المدرسة، وأما مدير المدرسة فهو يقيم في شقة بسطح المدرسة الحرة، وتحتوي المدرسة على أربعة أقسام ومكتب للإدارة و قاعة للصلاة و المحاضرات، وساحة واسعة كانت تستغل لتنظيم الحفلات المدرسية[17]، بحيث يشيد محمد الحسن فضلاء إلى أهمية المدرسة فقال:"أقبل على المدرسة التلاميذ و التلميذات من جميع الطوائف من أبناء المصلحين والطرقيين والخرافيين على السواء، و أصبح عددهم يفوق الثلاث مئة و خمسين، حقا فقد كانت المدرسة قبلة الجميع، ومفخرة الكل ولكنها غصة في طوق الاستعمار البغيض الذي أفسدت عليه هذه المدرسة سياسته العدوانية(التجهيل و التضليل و التفرنيس)[18].

بدأت المدرسة نشاطها بتعيين أربعة مدرسين بها وهم محمد الصالح رمضان، العيد سلطاني، فرحات العابد وأحمد بريك، كلهم ينتمون إلى جمعية العلماء المسلمين وكان لهم كفاءة عالية ومكانة كبيرة وسط مدينة غليزان.

3.2 . مديرو و معلمو مدرسة الفتح بغليزان:

كان التفكير في فتح هذه المدرسة الحرة جزء من مشروع جمعية العلماء المسلمين في توسيع حركة التعليم العربي الحر وتنشئة الشباب على النهج الصحيح، لذلك ساهم المشايخ و المعلمين الذين انتقلوا إلى منطقة الغرب الجزائري في عملية الوعظ، الإرشاد والتعليم وخاصة مدرسة الفتح بغليزان فقد كانوا من أبرز رجالات الجمعية بالجزائر، يذكر محمد الصالح رمضان يقول:" فتوليت أنا إدارة المدرسة و التعليم بها مع بعض المعلمين الموفدين من طرف الجمعية، وتولى الشيخ نعيم النعيمي مسألة الوعظ و الإرشاد للعامة والفتوى وإصلاح ذات البين بين الجماعات و الأفراد لمدة سنة، وخلفه علي المغربي سنة، ثم الشيخ عبد القادر الياجوري سنة أخرى ومكثت بغليزان ثلاث سنوات منقطعا للتعليم و إدارة المدرسة"[19]. فقد عين الأديب **محمد الصالح رمضان** أول معلم ومدير لمدرسة الفتح الذي عينه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1943، حيث قضى بالمدرسة ثلاث سنوات قائما عليها وبكل النشاطات داخل المدرسة وخارجها إذ كان يدرب التلاميذ العمل الكشفي لأنه كان مرشدا بفوج الرجاء الكشفي، كما كان يعلمهم المسرح و الأناشيد الوطنية التي تزيد من عزمهم وحبهم للوطن، وقد تخرج على يديه العديد من أبناء مدينةغليزان.

وقد تولى الشيخ **محمد بوعكاز** من ولاية أم البواقي إدارة المدرسة الفتح سنة 1946 حيث مكث بها مدة عامين إلى غاية 1948 مديرا ومعلما وقائما بمختلف النشاطات للطلبة، وبعد ذلك غادر المدرسة متوجها إلى مدينة شلغوم العيد للتعليم بمدرسة التهذيب.

وبعده تم تعيين الأستاذ **فرحات العابد** الجيجلي الذي يعتبر من المعلمين الذين قدموا مع فتح المدرسة مع الأديب محمد الصالح رمضان، وعندما عين الشيخ محمد بوعكاز على إدارة مدرسة الفتح غادر إلى مدرسة سيدي بلعباس، ثم عاد إلى غليزان ليتولى إدارة مدرسة الفتح وظل مشرفا عليها حتى سنة 1951، وبعدها عين مديرا بمدرسة أولاد علال بمدينة جيجل.

وجاء بعده الشيخ محمد **أبو القاسم الأغواطي** الذي عين مديرا ومرشدا بمدرسة الفتح، ويعد الشيخ أبو القاسم من الأوائل الذين إلتحقوا بالمدرسة رفقة محمد الصالح رمضان و السعيد بوذراع[20]، وقد تولى بعده إدارة المدرسة و الإشراف عليها كل من الشيخ **محمد حني** ابن مدينة قمار ولاية الوادي الذي درس بمعهد الشيخ ابن باديس وقد كان الشيخ محمد حني مديرا وواعظا ومكلفا بالإرشاد، كما عرف بنشاطه في التجارة وعند اندلاع الثورة المجيدة واصل نشاطه لصالح الثورة التحريرية في جمع التبرعات و الاشتراكات لصالح الثورة، وبعده الشيخ **باقي بوعلام** الذي تولى إدارة المدرسة إلى غاية سنة 1953 الذي كانت له مكانة سياسية وتولى مناصب وزارية فعين وزيرا للشؤون الدينية ووزيرا للعدالة، كما انتخب عضوا باللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني، ويأتي بعده الشيخ **الحسين كوايمية** الذي تولى إدارة مدرسة الفتح بغليزان، كما أشرف على إدارة عدة مدارس نذكر منها مدرسة سوق اهراس، مدرسة عين تموشنت، مدرسة الفلاح بوهران، مدرسة سيق وعين أستاذا بثانوية

الفتح بالبليدة، وفي سنة 1953 عين الشيخ **السنوسي دلاي** مديرا بمدرسة الفتح غليزان، وفي مارس 1954 استقبل الشيخ العربي تبسي الذي زار المدرسة[21] من أجل تجديد شعبة جمعية العلماء المسلمين بمدينة غليزان، كما كان له نشاط كبير بالمدرسة و خارجها حيث أسس الفوج الكشفي 'الأمل' كما كان من المدافعين على عملية التعليم ومواصلته، وبعده تم تعيين الشيخ **قدور العباسي** المعروف بالشيخ قويدر وهو من منطقة أولاد فارس بالشلف، وهو من طلبة الشيخ أحمد سحنون وقد كلف الشيخ قويدر بمهمة إدارة مدرسة الفتح والوعظ و الإرشاد[22].

3. نشاط مدرسة الفتح بغليزان:

3. 1. المقررات والبرامج التعليمية لمدرسة الفتح ومساهمتها في المنطقة:

بما أن المدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين فقد سعت الجمعية إلى إنشاء جيل جديد في تفكيره وعقيدته و تكوينه العلمي و العقلي، لذا فإن الجمعية وبعد تأسيسها بسنوات عملت على توحيد برامج التعليم في مدارسها الحرة، فعقدت لذلك مؤتمرا عاما في نادي الترقي بالعاصمة يومي 22 و23 سبتمبر 1937[23]، تحت عنوان "مؤتمر المعلمين الأحرار " حيث تم خلاله التطرق إلى جميع مايهم التعليم العربي الحر ومدارسه ونظمه ومنهاجه ووسائله، وكانت الغاية من ذلك التوصل إلى توحيد مناهج الدراسة[24].

وعليه قد انتهجت مدرسة الفتح الطرق الحديثة لتعليم أبناء المدينة وشملت برامجها المواد الدينية واللغوية والسيرة وكذا مواد الجغرافيا والتاريخ و الحساب، وهذا البرنامج الشامل يجمع بين الأصالة والمعرفة العصرية ما أدى بالتلاميذ و الطلبة يقصدونها للاستفادة من موادها المتنوعة التي تساهم في بناء الهوية الوطنية وقد تنوعت برامجها بحيث شمل برنامج المدرسة الابتدائية ثلاث شعب وهي:

- التربية الإسلامية المتينة.
- الثقافة العربية الابتدائية.
- مبادئ أولية للمعارف العلمية.

وكانت مراحلها مضبوطة بستة سنوات موزعة كالآتي: القسم التحضيري ومدته سنتان، القسم الإبتدائي ومدته سنتان و القسم المتوسط وهو أيضا مدته سنتان[25].

وكان تلاميذ مدرسة الفتح الحرة يدرسون حوالي ست ساعات يوميا، وأما المواد التي كانت مقررة عليهم وهي: التفسير، الحديث، الفقه، الفرائض، العقائد، الأدب، المواعظ، التجويد، الأصول، المنطق، النحو الصرف، البلاغة، المحفوظات، المطالعة، الإنشاء، الحساب، الجغرافية والتاريخ[26].لذا كانت مدرسة الفتح بغليزان قبلة للعديد من الطلبة الذين التحقوا بها من داخل المدينة وخارجها، وكانت خطة الدراسة تسير وفق ما سطرته الجمعية من خلال لجنة التعليم العليا وما أقرته الدورات التكوينية ومؤتمر المعلمين الأحرار.

كما قامت مدرسة الفتح بتدريس اللغة العربية و المحافظة عليها وذلك ببعثها ونشرها و تعليمها للأبناء وبنات المنطقة متحدين بذلك الإجراءات الفرنسية وعن ذلك يقول الشيخ البشير الإبراهيمي"إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها أن لغتها جزءا من كيانها السياسي و الديني وشرط بقائها ...."[27] من هنا يتبين أن اللغة العربية مهمة في مقومات الشخصية الوطنية وقيام المجتمعات وغرس في الطلبة أن الأمة التي تفقد لغتها تفقد معها ثقافتها وشخصيتها ووجودها[28]. وكانت لجنة التعليم العليا للجمعية تنشر عناوين الكتب المقررة على كل السنوات الدراسية ومنها: مبادئ القراءة المصورة، أجزاء من القرآن الكريم، المحفوظات المدرسية للهواري، النحو الواضح، جغرافيا القطر الجزائري لأحمد توفيق المدني، مختارات من الألفاظ و الكتابة للهمذاني، الحساب العربي.....، وغيرها من الكتب، وكان الطلبة و التلاميذ يحفظون الأناشيد و القصائد المشبعة بالروح الوطنية و القيم العربية الإسلامية، كما كانوا يرددون الأناشيد الثورية التي تزيد من الهمة و العزيمة الثورية في نفوس الطلبة.

كما ساهات مدرسة الفتح في النشاط الثقافي لمدينة غليزان، تمثل في التمثيل المدرسي والصحافة المدرسية بحيث اهتم رجال الإصلاح بالمسرح كتابة و تمثيلا فقد كتب الشاعر محمد العيد آل الخليفة مسرحية بعنوان "بلال" سنة 1939، وكتب محمد الصالح رمضان مدير المدرسة مسرحية بعنوان " الناشئة المهاجرة " سنة 1947 وهي تعالج موضوع الهجرة النبوية[29]. كما كانت للمدرسة العديد من الأنشطة و المساهمات البينة و القيمة التي تمثلت في مسرحية **حنبعل** التي أبدع فيها تلاميذ المدرسة وكانت مسرحية رائعة من تأليف الشيخ أحمد توفيق المدني، ومسرحية السيف والقلم وهي مسرحية تربوية أبرز شخصية في أدوارها ميلودي الحاج و عبدالرحمن بروان.[30]

3. 2. مساهمتها في تعليم المرأة:

من الأولويات التي كانت في اهتمام جمعية العلماء المسلمين هو المرأة لأنها تلعب الدور الأساسي في الأسر الجزائرية، وعليه قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتعليم الفتيات، من هنا فقد اقتدى كل المشايخ و الأساتذة بالشيخ فحرصوا على تعليم المرأة، التحقت فتيات مدينة غليزان بالمدرسة الحرة سنة 1948م وهن كثيرات ذكرت جريدة البصائر البعض منهن كالآتي: ربيعة بريكسي، خديجة قاضي، شريفة السنوسي، الزهرة حمادي، بدرة جلول عبو، خديجة بن يحى، خيرة بن يحى، فتيحة بن يحى، سكينة بن يحى، عائشة بن يحى، ربيعة بن يحى، آمنة بن سعوا، خيرة جلول عبو، جميلة اسياخم، عودة حراث، محجوبة بن جبار، بختة دوايدية، آمنة زيان قليعي، وزاني فاطمة، علام عودة، بوقطاية مريم، فاقة عابد، شاوش عائشة، رحماني فاطمة..وهن كثيرات[31].ويذكر ان المدرسة الحرة الفتح كان بها معلمات وأول معلمة بالمدرسة هي بدرة جلول عبو،مارست التعليم من 1948 إلى سنة 1953، ولما زار الشيخ الإبراهيمي القسم الذي كانت تدرس به قال لها:"أنت إنشاء الله امرأة المستقبل" [32].

4. خاتمة:

لاشك بأن حرمان الجزائريين من حقهم في التعليم من قبل الاستعمار جعل هذا الأخير يلتف حول الزوايا والمدارس القرآنية ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث ساهمت كل هذه المؤسسات بما كانت تقدمه بالنهوض بحركة التعليم العربي الحر بحيث تحدى هذا التعليم سياسة فرنسا التجهيلية التي شرعت في تطبيقها منذ بداية الاحتلال، في ظل هذه الظروف قام التعليم العربي الحر عن طريق جميع مؤسساته بالمحافظة على بقاء اللغة العربية وتدريسها وجعلها اللغة الأم والأولى رغم كل تلك الظروف المعادية.

ومن هنا يمكن القول أن التعليم العربي الحر قد نجح في تحقيق مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الوطنية وهو المحافظة على اللغة العربية والدين الإسلامي وحتى التاريخ والثقافة العربية ونشرها بين أبناء وبنات المنطقة من خلال المساهمات الفعالة للمشايخ و الأساتذة واتباع سياسة هادفة للنهوض بالعقل وتطويره لمجابهة سياسة التجهيل الفرنسية.

5. الهوامش:

[1] توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 283.

[2] محمد مفلاح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان1931م-1957م، ص87.

[3] محمد مفلاح، نفسه، ص 88.

[4] الميجود: ما يجود به سكان المدينة من صدقات للطلبة المسافرين.

[5] الرّتبة: يقصد بها البيوت التي تتطوع لإطعام الطلبة المسافرين.

[6] بن سماعيلي محمد، مشايخ خالدون و علماء خالدون، ص34.

[7] بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، ص 20.

[8] العقبي صلاح، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، ص 503-506 .

[9] محمد مفلاح، ص 89.

[10] بن عبد الحاكم، المرآة الجلية، ص 362.

[11] توفيق المدني ، كتاب الجزائر، م.س، ص285.

[12] جمال مخلوفي، مذكرة ماجستير،ص74.

[13] نفسه، ص 120.

[14] محمد مفلاح، ص 97.

[15] الشيخ نعيم النعيمي: هو الشيخ العلامة المصلح نعيم بن أحمد بن علي بن صالح النعيمي الحركاتي الزكراوي النـائلي الشريف الحسني، ولد سنة 1909بالخمار إحدى مناطق بلدة سيدي خالد ولاية بسكرة، درس بالزاوية المختارية وبعدها جامع الزيتونة بتونس، وبعدها عاد ليلتحق بالحركة الإصلاحية التي يقودها الشيخ عبد الاحميد بن باديس، شغل العديد من المناصب و المهام وقد وافته المنية سنة 1973ميلادية بمدينة خنشلة عليه رحمة من الله.

[16] محمد الصالح رمضان، منشورات ثالة، ص9.

[17] محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة في التعليم العربي الحر،ج3، ص95.

[18] فضلاء، نفسه ،ص96.

[19] محمد مفلاح، نفسه، ص104.

[20] البصائر العدد56، المؤرخ في 15نوفمبر 1948،ص 86.

[21] البصائر، العدد 264، المؤرخ في 26مارس 1954،ص41.

[22] محمد مفلاح، نفسه، ص 113.

[23] فضلاء، المسيرة الرائدة في التعليم العربي الحر، ج2، ص 15.

[24] تركي رابح، التعليم القومي، ص276.

[25] محمد مفلاح، نفسه، ص 117.

[26] جريدة البصائر، عدد47، 11ديسمبر1936، ص5.

[27] عيون البصائر، دار المعارف القاهرة، ط1، 1963، ص 313.

[28] تركي رابح، التعليم القومي، ص 326.

[29] بوعلام رمضاني، المسرح الجزائري بين الماضي و الحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، رقم12، ص 19.

[30] محمد مفلاح، نفسه، ص 121-122.

[31] البصائر، العدد 48، يوم06ديسمبر1948،ص52.

[32] محمد مفلاح، نفسه ، ص 132.